بسم الله الرحمن الرحيم

خطبةُ الجُمعة

الزنا داءٌ خطر

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونسترشده ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا شبيه ولا مثيل له مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وقائدنا وقرة أعيننا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وحبيبه وخليله أرسله الله بالهدى ودين الحق هاديًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا فهدى الله به الأمة وكشف به الغمة وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور فجزاه الله خير ما جزى نبيًا عن أمته اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد عباد الله فأوصي نفسي وإيّاكم بتقوى الله العظيم فاتقوا الله رب العالمين يقول الله تعالى في القرآن الكريم في سورة الإسراء ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢﴾.

لقد خلق الله الإنسان مُركَّبًا فيه غرائزُ وحاجات ومتطلبات يسعى المرء عادةً لتحقيقها، وسخَّر لهذا الإنسان أشياء كثيرةً لتكون عونًا له في مواجهة مشقَّات الدنيا وظروف الحياة العصيبة، قال تعالى في سورة الجاثية ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾.

ولكن لم يُرخّص ربنا تعالى للإنسان أن يتصرف بما سخَّره له على هواه وكما تشتهي نفسه وتميل إليه غرائزه بلا ضوابط، بل شرَع سبحانه الشريعةَ وبيَّن الأحكامَ وأرسل أنبياءه الكرام لإرشاد الناس إلى ما فيه صلاحهم وفلاحهم ليسلم من اقتدى بهم في الدنيا ويفوز في الآخرة، وقد ميَّز الله عزَّ وجل حياة الإنسان عن حياة البهائم بأن خلق في الإنسان نعمة العقل الذي يميز به بين الخير والشر وبين ما ينفع وما يضر ولم يجعل ذلك في البهائم، ولذلك لم يجعل الله البهائم من أهل التكليف، وكلَّف الإنسانَ بما أوجبه عليه، فيجب عليه أن يلتزم حدود الشرع ليحيا في الدنيا حياةً كريمةً وينجوَ في الآخرة من عذاب الله.

وهذا هو التوجهُ السليم بخلاف من يدعو لإطلاق الرغبات والشهوات للإنسان ولا سيما شهوات النظر المحرم والمس المحرم والجماع المحرم.

إن القول بإطلاق العنان لشهوات الإنسان على ما يرى كل أحد ويميل إليه يؤدي إلى الفوضى وضياع الأنساب والنزول بالإنسان للتشبه بالبهائم، وهذا لا يرضاه لبيبٌ ولا يدعو إلى مثله عاقل.

وما الداعي إلى التحريض على ذلك طالما يمكن قضاء الحاجة بطرقٍ سليمة مشروعة أباحها الله تعالى، فقد شرَع ربنا الزواجَ وجعل لذلك أصولًا وقواعد إذا أحسن الإنسان استخدامها ولم يتعدَّها تم له تحقيق غايته وإشباع رغبته دون أي شُذوذٍ أو تعدّ على حقوق الآخرين، قال تعالى في سورة المؤمنون ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧﴾. أي فهم العادون حدود الله المجاوزون ما أحل الله لهم إلى ما حرم عليهم.

فليقف مريد السلامة عند حدّ الشرع فَيَسْلَمَ في دينه ودنياه، وينالَ مبتغاه بالطرق الصحيحة بدل أن يلهث وراء الحرام فإنه لا خير في لذةٍ تُفضي إلى سخط رب العالمين،

ومن لم يُراعِ الأحكام الدينية في حياته وسعى لإشباع غرائزه وإطفاء نار شهوته كيفما اتفق هوى في الحضيض وقاده إبليس إلى الوقوع في معصية الزنى هذه الفاحشة الشنيعة.

ولا شك أن الزنى هو من أخطر الفواحش وأكبر الموبقات التي تهدد المجتمعات وما أكثرَ انتشارَه وانتشارَ ما يؤدي إليه في الأرض اليوم، فكم من مجالس ومنتدياتٍ تُكشف فيها العورات أمام من يحرم عليه النظر إليها، وكم من اختلاط بين الرجال والنساء يحصل فيه تضام وتلاصقٌ محرمٌ، وكم من مُناقشاتٍ بين الذكور والإناث تتسم بالخلاعة والكلام الساقط، وكم من سهرَاتٍ تنطوي على المجون والفسق، بل صارت الدعوة إلى الانحلال والتجرد من ثوب الاستقامة جهارًا بلا حياءٍ ولا خجلٍ ولا رادعٍ تحصل من خلال وسائل إعلامٍ ومُقابلاتٍ وبرامج على شاشات التلفزة أو عبرَ وسائل التواصل الأخرى، يُراد منها تقليد غيرنا وبالتالي إفساد شبابنا وشاباتنا حتى صار كثيرٌ من الناس ينظرون إلى من يلبس ثوب العفة نظرة استهجانٍ تنضوي تحتها اتهاماتٌ له بالتخلف وعدم مواكبة ركب الحضارة. فأي بلاء وأي مصيبةٍ تلك التي تواجه بلادنا وأمتنا وأي مرضٍ ذاك الذي تفشَّى بين الناس اليوم!!!

لقد بيَّن الله تعالى في مُحكم التنزيل خطر معصية الزنى وسوء عاقبتها على الإنسان والمجتمع حيث قال في سورة الإسراء ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾﴾.

وروى البخاري عن عبد الله بن مسعودٍ قال سألتُ النبي صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم عند الله؟ قال **أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**، قلت إن ذلك لعظيم، قلت ثم أي؟ قال **أن تقتل ولدَك تخافُ أن يطعَم معك**، قلت ثم أي؟ قال **أن تُزاني حليلة جارك** اهـ رواه البخاري.

فدلَّ الحديث على أن الكفر أكبر الذنوب، ويلي ذلك قتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ثم الزنى، ويؤيد معنى ما جاء في الحديث القرءانُ الكريم قال تعالى في سورة الفرقان ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ٦٨﴾.

وإنما خصَّ النبي صلى الله عليه وسلم حليلةَ الجار في حديثه لكون الزنى بحليلة الجار أقبح حيث يجمع الزاني بذلك بين الزنى وانتهاك حق الجوار، فتبًّا لمن لا يُراعي الحُرمات والحقوق ولا يجد من نفسه تأنيبًا على هذه الجريمة ولا رادعًا عنها.

إن التلوث بمعصية الزنى شرٌّ مستطير وكبيرةٌ من كبائر الإثم يأباها الشرف والمروءة، بل ويستحي فاعلها من اطّلاع الناس عليه، وبالأولى أن يستحي من الله تعالى فيبتعد عنها خوفًا وحياءً من رب العالمين فقد روى بَهْزُ بن حكيم عن أبيه عن جده أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال **الله أحق أن يُستَحَى منه من الناس** اهـ رواه البيهقيّ.

وكم جلب الزنا عارًا ودمارًا وتسبب في اضطراباتٍ وسفكِ دمٍ وتفريق أسرٍ وتشتيت أطفالٍ وتباعد أصدقاء أو أقارب فلذلك حرّم الله تعالى هذا الذنب الشنيع في كل الشرائع فلم يكن مباحًا ألبتة في شريعة نبيٍ قط من لدن أولهم أبي البشر آدم إلى محمدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكلهم حذّروا منه وبيّنوا خطورته.

وحيث جعل الله تعالى في الإنسان العقل والميول والشهوات وحيث دل العقل على وجوب اتباع الشرع لزم التمسك بما أمر به الشرع ليترقى الإنسان بالتزام الفضائل واجتناب المهلكات من الشهوات التي تهوِي بالإنسان إلى الحضيض حتى يبلغ ما دون مرتبة البهائم أحيانًا كما قال تعالى في سورة الأنفال ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا

يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾، فشبههم بالدوابّ لجهلهم وتركهم اتباع الشريعة التي تقود العقول السليمة إلى اتباعها، وخلاصة القول إن الخير في التزام حدود الشرع ورأس الحكمة مخافة الله.

والحمد لله أولًا وءاخرا.